

الباب الأول
عملية التعلم والتربية

الباب الأول

عملية التعلم والتربية

ومما يثلج الصدور أنّ عملية التعلم والتربية عملية مقدّسة فاضلة لا يساويها أيّ عمل في الفضل والشرف والرفعة والكرامة في العالم، فهي مهمّة الأنبياء والمرسلين، كما قال الله تعالى في محكم تنزيله، يصف النبيّ محمدا صلى الله عليه وسلّم (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)^١، فشأنها عظيم، والسعي لها مشكور، يستحق بها العبد رضا الله وسعادة الدارين. فالعلم أصل كلّ شيء، وسبب كلّ نهضة وإصلاح، وبه أظهر الله فضل أول أنبيائه آدم عليه السلام على الملائكة وأمرهم بالسجود له، وأمر آخر أنبيائه نبيّنا محمدا صلى الله عليه بطلب الازدياد منه حيث قال جلّ وعلا في قرآنه المجيد "وقل رب زدني علما"، وبه فرق الله بين الجاهل والعالم فقال "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" وهو أنفس شيء كنزا، وأعظم شيء ذخرا، خفيف الحمل، لا يخاف عليه اللصّ، يزيد مهما يُنفق منه، وينقص مهما يُكف، ومع ذلك أنه نور إلهيّ يحرق المعاصي، ولا يعطى للعاصي، ينتفع به الناس في الحياة، ولا ينقطع بعد الممات، يزيد إيمان البشر هداية، وأخلاقه حسنا، وسيرته عدلا. وأن العلماء هم زمام الأئمة، وعنان الأمة، بهم يهتدي أهل الملة من الغباوة إلى الرشادة، وهم منابر الإسلام، ومنار الإيمان، تقتبس منها أشعة الهداية والسلام، وهم بروج مشيدة تلجأ إليها الأمة الإسلامية عند اشتباه الطرق والملل.

وأما التربية فهي "تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا" كما عرفها الإمام البيضاوي، فريضة على كلّ من كان في أعناقهم حقّ التربية، ولعظم أمرها أكدّ عليها القرآن في مواضع كثيرة ليسوق انتباهات المربيين إليها وأن لا يغفلوا عنها، وأنذرهم بالعذاب الأكبر إذا هم فرطوا وقصّروا، قال الله تعالى "يا أيّها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها النَّاس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم

(١) سورة الجمعة، رقم الآية: ١٦

ويفعلون ما يؤمرون" فالأم في تحمل المسؤولية كالأب سواء بسواء، بل مسؤوليتها أهم وأكبر وأخطر باعتبار أنها ملازمة لولدها منذ الولادة إلى أن يشبّ ويتزعرع ويكون رجلا كاملا. والنبى صلى الله عليه وسلم قد أفرد الأم بتحمل المسؤولية حين قال "والأم راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها" فإذا قصرت الأمهات في الواجب التربوي نحو أولادهنّ لانشغالهنّ مع صديقاتهنّ واستقبال ضيوفهنّ وخروجهنّ من بيوتهنّ، وإذا أهمل الآباء مسؤولية التوجيه والتربية نحو أولادهم لانصرافهم وقت الفراغ إلى اللهو واللعب وارتياح القهوات مع الأصحاب والخلان، وانهماكهم في الملاذّ والشهوات، وصرفهم الأوقات فيما لا يعينهم فلا شك أنّ الأولاد سينشؤون نشأة اليتامى ويعيشون عيشة البهائم ويتخبطون في طريق الانحلال والإباحية.

فعلى الآباء والأمهات والمربين التعرف على المبادئ التربوية والمناهج العملية والقواعد التعليمية ليعلموا حدود مسؤوليتهم أولا ثم لتطبيقها ثانيا في حياتهم اليومية تدريجا. فالآباء الذين يعطون لأولادهم حرية مطلقة في مطالعة ما شاؤوا من كتب الملحدين والماديين، والذين يرخون لأولادهم العنان ليخالطوا من رفقاء الزيف والضلال ما يرغبون، والذين يتركون بناتهم يتبرجن في الأسواق والدكاكين والملاهي لا شك أنّهم سيتربون على عقائد ضالّة وينشؤون على مبادئ إحادية كافرة ويختارون للمصاحبة رفقاء لادينية نعوذ بالله من ذلك. ولا نستطيع أن نرى أحدا له قلب سليم يقول إنّ الإغراق في التمتع والمبالغة في الرفاهة لا يضرّ بشخصية الولد، ولا نرى أحدا يقول إنّ الاسترسال وراء المذات والشهوات لا يضرّ بشخصية الولد، ولا نرى أحدا يقول إنّ الإغراق في التمتع والمبالغة في الرفاهة لا يضرّ بشخصية الولد، إنّ رجال التربية وعلماء النفس والأخلاق كادوا يكونون مجمعين على أنّ هذه الظواهر من أفتك الأوبئة في إضعاف الذاكرة وتحتطيم الشخصية وقتل الرجولة ونشر الأمراض والقضاء على فضيلة الشرف والعفاف^٢. فعلى الآباء والأمهات

٢) تربية الأولاد في الإسلام للدكتور عبد الله ناصح علوان رحمه الله، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، جمهورية مصر العربية- القاهرة، الطبعة الرابعة والثلاثون عام ٢٠١٣م.

والمربيين تفهم القواعد التربوية والمناهج العملية والمبادئ التعلمية والتعليمية لتكون صفات المربين فيهم كاملة وظاهرة، وعليهم أن يعلموا أولادهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم وأن يشرفوا على تاديبهم وتربيتهم حتى ينشأوا على المكارم الخلقية والفضائل النفيسة. وقد كان السلف الصالحون يختارون لأولادهم أفضل المعلمين تعليماً وتأديباً لما اهتموا بأمر التربية، قال صلى الله عليه وسلم "ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن"^٣. وقال أيضاً "أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم"^٤.

فالمجتمع الإنساني بأسره عامّة والمجتمع الإسلامي برمته خاصة برجالها ونسائها وحكامها ومحكومياتها وصغارها وكبارها حينما تتقبل هذه المبادئ في تعلمهم وتربيتهم بقبول حسن وتسير على هذه المفاهيم القيمة لا محالة أنهم يرفلون في رياض الطهر والكرامة ويرتعون في ظلال الأمن والاستقرار ويصلون إلى ذروة المجد والسعادة وما ذلك على الله بعزيز.

الفصل الأول

العلم والتربية في القرآن الكريم

وقد وردت فضائلهما في عدة مواضع من القرآن الكريم، فكثرة الورد تدلّ على أهميتهما وفضلهما. وأن أول ما أنزل الله على رسوله ﷺ وهو بغار حراء قوله تعالى "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم"^٥ وهذا من أكبر الدلائل وأجلها على أنّ القرآن يحضّ على التعلم والمعرفة. لقد مدح الله سبحانه وتعالى العلم وأهله في مواضع مختلفة، تارة مباشراً وتارة غيرمباشراً، وتارة بضرب الأمثال، ليعقل العاقلون ويتفكّر المتفكّرون في أمر العلم وفضله، وليكونوا راغبين في جمعه وتحصيله، فقال وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون.

(٣) الجامع الصحيح - سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٨هـ الموافق ل ١٩٧٨م .

(٤) سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، شركة الطباعة العربية السعودية، الطبعة الثانية - عام ١٤٠٤هـ الموافق ل ١٩٧٤م.

(٥) سورة العلق رقم الآيات ١-٥

فأولاً: في العلم والتعلم :

قال الله تبارك وتعالى: "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وألوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم"^٦. فهذه الآية تدل على فضيلة العلم صريحا لأن الله تعالى قرن شهادة ملائكته وشهادة أولي العلم بشهادته على توحيده الذي هو أساس الدين وأصله، ومما لا شك فيه أن الله لن يقرن بشهادته إلا ما له شرف وفضل عظيم فبان لنا من هذه فضيلة العلم وأهله.

"في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء وقال في شرف العلم لنبيه ﷺ {وقل رب زدني علما} فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأل المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم"^٧.

قال ابن القيم رحمه الله: "استشهد سبحانه بأولي العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده، فقال "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وألوا العلم قائماً بالقسط" وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه:

أحدها : استشهدهم دون غيرهم من البشر.

والثاني : اقتران شهادتهم بشهادته.

والثالث : اقترانها بشهادة ملائكته.

والرابع : أن في ضمن هذا تركيبتهم وتعديلهم، فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العادل، ومنه الأثر المعروف عن النبي الكريم "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"^٨ الخامس : أنه وصفهم بكونهم أولي العلم وهذا يدل على اختصاصهم به وأنهم أهله وأصحابه ليس بمستعار لهم.

(٦) سورة آل عمران الآية : ١٨

(٧) الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، الناشر: دارالكتاب العربي، بيروت - لبنان، عام ١٤٢٧هـ الموافق ل ٢٠٠٦م.

السادس: أنه سبحانه استشهد بنفسه وهو أجل شاهد ثم بخيار خلقه وهم ملائكته والعلماء من عباده ويكفيهم بهذا فضلا وشرفا.

السابع : أنه استشهد بهم على أجل مشهود به وأعظمه وأكبره وهو شهادة أن لا إله إلا الله، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداته^٨.

ومنها : قوله تعالى "يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"^٩ أي يرفع الله تبارك وتعالى منزلة المؤمنين، والعلماء، بحسن الذكر في الدنيا، والمغفرة والجنة في الآخرة، أعلى الدرجات لإيمانهم واكتسابهم العلم الذي هو أصل كل شرف وكرم.

"قال الحسن رحمه الله: قرأ ابن مسعود رضي الله عنه هذه الآية، وقال: أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبنكم في العلم، فإن الله تعالى يقول: "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"، المؤمن العالم فوق الذي لا يعلم درجات"^{١٠}.

ومنها : قوله تعالى "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ"^{١١} فبين الله في هذه الآية الكريمة أن العلماء هم الذين يخافون الله حق مخافته لما عندهم من المعرفة الحقيقية عن الله عز وجل، فأما غيرهم من العوام فليس لهم معرفة تامة عن الله حتى يمتثلوا بأوامره ويجتنبوا عن نواهيه.

نقل القرطبي رحمه الله عن الربيع بن أنس قال: من لم يخش الله تعالى فليس بعالم. وقال مجاهد : إنما العالم من خشي الله عز وجل.

وقال بعض السلف: ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم الخشية .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا.

٨) العلم فضله وشرفه، لابن قيم الجوزية.

٩) سورة المجادلة، الآية : ١١.

١٠) معالم التنزيل لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البيهقي، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٦ هـ الموافق ل ١٩٩٦ م.

١١) سورة الفاطر، الآية ٢٨.

وقيل لسعد بن إبراهيم: من أفعه أهل المدينة؟، قال: أتقاهم لربّه عزّ وجلّ.

وقال رجل للشعبي: أفتني أيها العالم؟، فقال الشعبي: إنما العالم من خشي الله عزّ وجلّ.

وقال ابن سعدي: "فكل من كان بالله أعلم كان أكثر له خشية، وأوجب له خشية الله الانكفاف عن المعاصي والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته كما قال الله تعالى: "رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربّه".

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله: وسبب ذلك أن العلم النافع يدل على أمرين: أحدهما: على معرفة الله، وما يستحقه من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الباهرة. وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته ومهابته ومحبته ورجاءه والتوكل عليه والرضى بقضائه والصبر على بلائه. والأمر الثاني: المعرفة بما يحبه ويرضاه وما يكرهه وما يسخطه من الاعتقادات، والأعمال الظاهرة والباطنة، والأقوال، فيوجب ذلك لمن علمه المسارعة إلى مافيه محبة الله ورضاه، والتباعد عما يكرهه ويسخطه. فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا فهو علم نافع فمتى كان العلم نافعا ووقر في القلب فقد خشع القلب لله وانكسر له وذل هيبته وإجلاله وخشية ومحبة وتعظيما. ومتى خشع القلب لله وذل وانكسر له، قنعت النفس ببسير الحلال من الدنيا، وشبعت به، فأوجب لها ذلك، القناعة والزهد في الدنيا.

ومنها: قوله تعالى "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ"^{١٢} فهذه الآيات دالة على فضل

(١٢) سورة البقرة، الآيات: ٣١ - ٣٤.

العلم، فإنه سبحانه وتعالى ما أظهر كمال حكمته في خلقه آدم عليه السلام إلا بأن أظهر علمه، فلو كان في الإمكان وجود شيء أشرف من العلم، لكان من الواجب إظهار فضله بذلك الشيء لا بالعلم.

ومنها: قوله تعالى "وقل رب زدني علماً"^{١٣} ففي هذه الآية العظيمة يأمر الله تبارك وتعالى حبيبه ﷺ بطلب المزيد من العلم، ومن المعلوم أنه لم يؤمر بطلب الأزيد من شيء إلا من العلم، فبان من هذه أهمية العلم وفضله.

"واستدلّ بالآية على فضل العلم حيث أمر ﷺ بطلب زيادته، وذكر بعضهم أنه ما أمر عليه الصلاة والسلام بطلب الزيادة في شيء إلا العلم. وأخرج الترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول: اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً والحمد لله على كل حال، وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد عن ابن مسعود أنه كان يدعو (اللهم زدني إيماناً) وما هذا إلا لزيادة فضل العلم، وفضله أظهر من أن يذكر"^{١٤}

ومنها : قوله تعالى "أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ"^{١٥}.

يبين الله في هذه الآية أنّ العالم مهتد بصير، وهو في درجة عالية بالنسبة إلى الجاهل، لا يستوي هو والجاهل، لأنه أعمى وضالّ، وذلك أن العالم بالشيء كالبصير، والجاهل به كالأعمى، وليس أحدهما كالآخر، لأن الأعمى إذا أخذ يمشي من غير قائد، ظاهر أنه يقع في البئر أو في المهالك، أما البصير فإنه يكون آمناً من الهلاك والإهلاك، فلا يستوي العالم والجاهل أبداً، ثم يقول الله تعالى ولا يتذكّر لذلك إلا أرباب العقول من الناس.

(١٣) سورة طه: ١١٤
(١٤) روح المعاني، لشهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألويسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة، عام ١٤٠٥ الموافق ل ١٩٨٥م.
(١٥) سورة الرعد الآية : ١٩

ومنها: قوله تعالى "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ"^{١٦}.

ففي هذه الآية الكريمة يفرّق الله بين عباده بالعلم، فمنهم محصّله ومنهم معدمه، فالعالم له من الشرف والمكانة مالا يدركه الجاهل، فليسا سواء في الرتبة، ثم يقول الله: إِنَّمَا يَنْذَكُرُ مِنَ النَّاسِ وَيَتَعَزَّزُ أُولُو الْأَبْصَارِ.

في آية "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" يقول تبارك وتعالى: قل يا محمد لقومك: هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم من الثواب، وما عليهم في معصيتهم إياه من التبعات، والذين لا يعلمون ذلك، فهم يخطون في عشواء، لا يرجون بحسن أعمالهم خيرا، ولا يخافون بسيئها شرا؟ يقول: ما هذان ومنها: قوله تعالى "وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ"^{١٨}.

ففي هذه الآية دليل على شرف أهل العلم فإن الأمثال التي يضربها الله في كتابه لا يفهمها جيّدا إلا العالمون كما قال الله تعالى (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ).

وأخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة قال: "ما مررت بآية لا أعرفها إلا أحزنتني لأنني سمعت الله يقول: وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون"^{١٩}.

"روى جابر أن النبي ﷺ تلا هذه الآية أي (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون)، قال: العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته، واجتنب سخطه"^{٢٠}.

ومنها: قوله تعالى "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"^{٢١}.

١٦) سورة الزمر الآية: ٩
١٧) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.
١٨) سورة العنكبوت الآية: ٤٣
١٩) روح المعاني لأبي الفضل محمود الألوسي .
٢٠) الباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي.
٢١) سورة التوبة الآية: ١٢٢

وهذه الآية أدلّ دليل على وجوب تعلّم العلم وإعداد طائفة من الناس للتعلّم والتفقه في الدين فإنّ العلم حياة الإسلام ولا حياة للدين بغير العلم.

"والذي يظهر أنّ هذه الآية إنما جاءت للحض على طلب العلم والتفقه في دين الله، وأنه لا يمكن أن يرحل المؤمنون كلهم في ذلك فتعزى بلادهم منهم ويستولي عليها وعلى ذراريهم أعداؤهم، فهلا رحل طائفة منهم للتفقه في الدين ولإنذار قومهم، فذكر العلة للنفير وهي التفقه أولاً، ثم الإعلام لقومهم بما علموه من أمر الشريعة أي: فهلا نفر من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم فكفوهم النفير، وقام كلّ بمصلحة هذه بحفظ بلادهم، وقتال أعدائهم، وهذه لتعلم العلم وإفادتها المقيمين إذا رجعوا إليهم".^{٢٢}

"دلت الآية على أنه يجب أن يكون المقصود من التفقه والتعلم دعوة الخلق إلى الحق، وإرشادهم إلى الدين القويم والصراط المستقيم، لأن الآية تدل على أنه تعالى أمرهم بالتفقه في الدين، لأجل أنهم إذا رجعوا إلى قومهم أنذروهم بالدين الحق، وأولئك يحذرون الجهل والمعصية ويرغبون في قبول الدين. فكل من تفقه وتعلم لهذا الغرض كان على المنهج القويم والصراط المستقيم، ومن عدل عنه وطلب الدنيا بالدين كان من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا"^{٢٣}

ومنها : قوله تعالى "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا"^{٢٤} وقد اختلف المفسرون في هذا التفضيل، فإنّ الله تعالى قد فضّل بني آدم على غيرهم بفضائل كثيرة ولكن أكثر المفسرين قد أجمعوا على أنّ هذا التفضيل إنما هو بالعلم والفهم والنطق التي هي الفضيلة العظمى لبني آدم وبها يمتازون عن غيرهم من خلق الله تعالى فهذه الآية أيضاً تشير إلى فضيلة العلم .

٢٢) تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الفكر للطباعة، بيروت- لبنان، عام ١٤١٢ هـ الموافق ل ١٩٩٢ م.

٢٣) التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية - طهران.

٢٤) سورة الإسراء، الآية : ٧٠

"حكى الطبري عن جماعة أن التفضيل هو أن يأكل بيده وسائر الحيوان بالفم، وقيل: بالكلام والخط. وقيل: بالفهم والتميز وقال الضحاك: كرمهم بالنطق والتميز. والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب" ^{٢٥}

"وما جاء عن أهل التفسير من تكريمهم وتفضيلهم بأشياء ذكرها هو على سبيل التمثيل لا على الحصر في ذلك كما روي عن ابن عباس أن التفضيل بالعقل، وعن الضحاك بالنطق، وعن عطاء بتعديل القامة وامتدادها، وعن زيد بن أسلم بالمطاعم واللذات، وعن يمان بحسن الصورة، وعن محمد بن كعب بجعل محمد عليه الصلاة والسلام منهم، وعن ابن جرير بالتسليط على غيره من الخلق وتسخيره له. وقيل: بالخط. وقيل: باللحية للرجل والذؤابة للمرأة، وعن ابن عباس: بأكله بيده وغيره بفمه، وقيل: بتدبير المعاش والمعاد، وقيل: بخلق الله آدم بيده. قال ابن عطية: وقد ذكر أن من الحيوان ما يفضل بنوع ما ابن آدم كجري الفرس وسمعه وإبصاره، وقوة الفيل، وشجاعة الأسد، وكرم الديك. قال: وإنما التكريم والتفضيل بالعقل الذي يملك به الحيوان كله وبه يعرف الله ويفهم كلامه ويوصل إلى نعيمه انتهى" ^{٢٦}

ومنها: قوله تعالى "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" ^{٢٧} وقد فسّر كثير من المفسرين كلمة الحكمة بالعلم كما أشار إليه نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلّم بقوله "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" وقد وصف الله سبحانه وتعالى الدنيا وما فيها من الأمتعة واللذات بكلمة قليل فقال "فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل" ^{٢٨} فكيف يكون إذا قال الله كلمة "كثير" لأيّ شيء كما قال الله تعالى هنا، وهذا يدلّ على عظمة العلم وفضيلته.

٢٥) الجامع لأحكام القرآن لشمس الدين القرطبي .
٢٦) تفسير البحر المحيط للعلامة أبو حيان الأندلسي.
٢٧) سورة البقرة الآية : ٢٦٩
٢٨) سورة التوبة الآية : ٣٨

ومنها : قوله تعالى "فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعَلَّمْنَا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ. وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ"^{٢٩}.

فقوله تعالى (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ) قال الجنيد رحمه الله: من فضيلة العلم على المال أن الله فهم سليمان مسألة فمنّ عليه، فقال(فَفَهَّمْنَا سُلَيْمَانَ) وأعطاه الملك ولم يمنّ عليه بل قال (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب).

ومنها : قوله تعالى "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ"^{٣٠}

وكان أول آيات أنزلت على نبينا عليه وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلوات "اقرأ باسم ربك الذي خلق... إلخ" فنبه الله في أول ما أنزله على نبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة ولكونها وسيلة إلى التعلم .

وهكذا بين الله فضيلة العلم في محكم تنزيله، تارة صريحة، وتارة غير صريحة، تارة بضرب الأمثال وتارة بغيره ليعقل العاقلون، ويتذكر المتذكرون، ويتعظ المؤمنون، وليكونوا راغبين في جمع العلوم ونشرها.

(٢٩) سورة الأنبياء، الآيات: ٧٩، ٨٠، ٨١.
(٣٠) سورة العلق رقم الآيات ١-٥.

ثانياً: في التربية :

فالتربية منوطة بالتعلم، فلا تتحقق التربية الحسنة إلا بالتعلم حيث لا يمكن التفريق بينهما، وقد بين الله أهميتها وفضلها في عدة مواضع من القرآن الكريم، كما في أمر العلم، فإنها أصل المقصود من التعلم أيضاً. وقد بين القرآن الكريم جميع أنواع التربية وأساليبها، ولم يترك فيها مجالاً لآخر حيث إنه أرشد الناس إلى جميع أنواعها من التربية الاجتماعية والعقلية والجسمية والنفسية وغيرها من أهم جوانب التربية الإسلامية.

أولاً: قوله تبارك تعالى في محكم تنزيله: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"^{٣١} وهذه التزكية يشمل جميع أنواع التربية كما أشار إليه الإمام عبدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَمَّاشِ في تفسيره فقال:

"تطهير للضمير والشعور، وتطهير للعمل والسلوك، وتطهير للحياة الزوجية، وتطهير للحياة الاجتماعية. وتطهير ترتفع به النفوس من عقائد الشرك إلى عقيدة التوحيد، ومن التصورات الباطلة إلى الاعتقاد الصحيح، ومن الأساطير الغامضة إلى اليقين الواضح. وترتفع به من رجس الفوضى الأخلاقية إلى نظافة الخلق الإيماني، ومن دنس الربا والسحت إلى طهارة كسب الحلال. إنها تزكية شاملة للفرد والجماعة ولحياة السريرة وحياة الواقع. تزكية ترتفع بالإنسان وتصوراته عن الحياة كلها وعن نفسه ونشأته إلى آفاق النور التي يتصل فيها بربه، ويتعامل مع الملائكة الأعلى، ويحسب في شعوره وعمله حساب ذلك الملائكة العلوي الكريم"^{٣٢}

ومنها: قوله تعالى: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا"^{٣٣}.

٣١) سورة الجمعة، الآية: ٢

٣٢) التفسير الحاوي للإمام عبدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَمَّاشِ رحمه الله .

٣٣) سورة الشمس، الآيات: ٧، ٨

هذه الآية تشير إلى التربية الأخلاقية التي تقوم على تزكية النفس، أي التخلّي عن الأخلاق الرذيلة الذميمة والعادات الدنيئة السيئة، والتخلّي بالأخلاق الفاضلة لتصبح النفس طاهرة صافية نقية، ويكون صلاحها في الفرد سبب صلاح المجتمع جميعاً.

ومنها : قوله تعالى "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا"^{٣٤}.

وفي هذه الآية الكريمة أيضاً يشير الله تبارك وتعالى إلى التربية الخلقية وهي أن النفس البشرية مخلوقة على الفطرة السليمة، وكأنها أرض خصبة تصلح لإنبات أيّ بذر يزرع فيها، وهنا يكمن دور الآباء والمربين في تربيتها وتأييدها أحسن تأديب، فإن بذر فيها المربي بذور الخير والصلاح والإيمان، ومحبة الخالق والخلق، فقد نجح في مهمته التي خلُق من أجلها، وكان سعيه مشكوراً، وإن هو أهمل في هذا وترك لنفسه العنان، وسار بها في طريق الفساد والضلال، فقد خاب سعيه، وفشل في مهمته، وأوقع نفسه في التهلكة بارتكاب المعاصي وترك الطاعات.

قال عبد الرحمن بن محمد القماش في تفسيره المسمى (جنة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلاق) مفسراً لهذه الآية الكريمة : "وتزكية النفس تكون بالعمل الذي يجعلها زاكية أي طاهرة كثيرة الخير والبركة، وأصل الزكاء والزكاة: النمو والبركة في الزرع، ومثله كلّ نافع، فتزكية النفس بالفعل عبارة عن تنمية فضائلها وخيراتها، ولا يتم ذلك إلا باجتنب الشُرور التي تعارض الخير وتعوقه، وهذه التزكية محمودة وهي المرادة بقوله تعالى: قد أفلح من زكّاهَا أي : نفسه". أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا تلا هذه الآية (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) وقف ثمّ قال: اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها، وأنت خير من زكّاهَا، فتزكية النفس وتهذيبها هدف مهم من أهداف الرسائل السماوية، وغايتها الكبرى الارتقاء بالطبائع الإنسانية حتّى تصبح أقرب إلى الملائكية، وتخليص النفس الإنسانية من سيطرة سلطان الأهواء والشهوات، لتكون الفضائل

(٣٤) سورة الشمس الآية: ٩.

كالصدق والتواضع والأمانة والإيثار والاستقامة ونحوها، عادة لها تقود مسيرته في الحياة، وترشد سلوكه بحيث لا يخرج عن إطار التربية الأخلاقية.

ومنها: قوله تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" ^{٣٥}.

في هذه الآية الكريمة يرشد الله إلى أهم جانب من جوانب التربية وهي التربية الاجتماعية، وضرورة مراعاة الإنسان للروابط الاجتماعية، فأولا خلق الله تعالى آدم وحواء وجعل من ذريتهما القبائل والشعوب والأجناس والألوان، فالناس كلهم إخوة، ولا تفاضل بينهم باللون والجمال، والنسب والغنى، بل كلهم سواء أمام الله تبارك وتعالى، والذي يُكْرَمُ عند الله من الناس أتقاهم له، فمن حاز شرف التقوى حصل على مرضاة الله، والله أعلم بأعمال مخلوقاته ومحيط من ورائهم وخبير بما في قلوبهم.

ومنها: قوله الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤَدِّنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) ^{٣٦}.
ففي هذه الآية الكريمة يوجه الله تبارك وتعالى القارئ إلى بعض آداب التربية الاجتماعية، فإن من آدابها مسألة الاستئذان، فأدب الاستئذان يحفظ للبيت حرمة، ويحمي أهله من أذى المفاجأة، والالتزام بهذا الأدب أمر يجب الالتزام به مع عامة البيوت المسكونة، فلذا يبيّن القرآن الكريم آداب الاستئذان للمؤمنين ليكونوا على وعي كامل في هذه المسألة الاجتماعية الضرورية، هكذا لو تتبعنا في آيات القرآن الكريم -لا شك - نجدها - تشير إلى جميع جوانب التربية .

ومنها قوله تعالى: "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" ^{٣٧}

٣٥) سورة الحجرات رقم الآية: ١٣

٣٦) سورة النور الآية: ٢٧

٣٧) سورة الأعراف رقم الآية: ٣١

ففي هذه الآية الشريفة ينبّه الله على جانب مهمّ من جوانب التربية وهو الجانب الصحيّ، وقد شملت هذه الآية جميع قوانين الطبّ ومبادئه.

قال علي بن الحسين بن واقد: "قد جمع الله الطب كلّهُ في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا"^{٣٨}

ومنها قوله تعالى "إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب"^{٣٩}.

في هذه الآية الكريمة يدعو القرآن الكريم الإنسان إلى استخدام عقله وتركيزه على الفهم المستوعب والمعرفة المجردة والعقيدة الصحيحة. والقرآن الكريم يتضمن توجيهات كثيرة تدعو كلّها إلى التفكير والتدبر والتعقل. وقد وردت لفظة "تعقلون، يعقلون" في القرآن الكريم ثماني وأربعين مرة، كما وردت لفظة "يتفكرون" سبع عشرة مرة، و"يفقهون" ست عشرة مرة. وفي هذا كلّ دليل بيّن واضح على أهمية استخدام العقل فيما يتطلب السعادة الأبدية ويوجب السعي في مرضاته تبارك وتعالى بكمال الخضوع والذل في عبادته.

ومنها قوله تعالى "فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون"^{٤٠} ففي هذه الآية الكريمة يسوق القرآن أنظار الناس إلى ناحية جديدة لا يقلّ اهتمامها في مجال التربية، وهي التربية المهنية يقصد منها ترك البطالة، وتدعو إلى الوسطية والاعتدال في العبادة وتحثّه على عمارة الأرض والزراعة والصناعة وغيرها من وسائل المعيشة حتى كان المؤمن القويّ أحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف.

^{٣٨} التفسير للبعوي رحمه الله.

^{٣٩} سورة آل عمران رقم الآية: ١٩٠.

^{٤٠} سورة الجمعة، الآية: ١٠.

وهذه بعض النواحي التربوية المهمة المذكورة في القرآن الكريم على سبيل المثال لا الحصر، ولوفّقنا وتعمّقنا في الآيات القرآنية لوجدنا أكثر مما في أيدينا، ونعلم أنّ هذه كلّها تشير إلى أهمية التربية وضرورية اتصاف الإنسان بها.

ففي الجملة أن التعلم والتربية هما الأمران الرئيسيان في حياة الإنسان، ولا يجوز الإعراض عنهما قط، وهما يبتدئان من المهد ويحتاج إليهما إلى اللحد، والمرأ يكون في أحسن تقويم بقدر تحصيله منهما حظا وافرا، ويكون في أسفل السافلين بقدر إعراضه عنهما، وهما مسؤولية كبيرة على عواتقنا يجب تأديتها تصديقا لقوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُؤَادُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا"^{٤١}.

الفصل الثاني

العلم والتربية في الحديث الشريف

العلم جوهرة غالية نفيسة، يحظى بها السعداء، ويحرم منها الأشقياء، والاشتغال بها من أفضل الطاعات، وأولى ما أنفقت فيه نفائس الأوقات، وطالبها مقبول عند الله وعند الناس، وسالك طريقها مسهلّ الطريق إلى الجنة، ومداد كاتبها يرجح من دم الشهداء عند الموازنة، وتعلّمها واجبة على كل مسلم ومسلمة، وتعليمها مهمة الأنبياء والبررة، ومستمعها شريك القائل في الفضل والمكانة، وصاحبها مكرم عند العامة والخاصة، وجامعها جامع الدين والدنيا، وناصرها ناصر الإسلام والمسلمين، وحافظها حافظ الدين والقرآن .

وهو كنز عظيم، يحمّد حامله، ويكرم خادمه، وينصر خازنه، ويقبل حافظه، ويعزّز جامعته، شقيّ إذا أحرّم منه، بهيّ إذا منح منه، يحظى به السّماع والحضار، ويجلّى به القراء والكتّاب، إن أنفقت منه كثر، وإن كفت عنه قلّ .

وأما التربية فهي من أهم المسؤوليات التي يجب على الإنسان مراعاتها، وقد قال ﷺ "كلّم راع وكلّم مسؤول عن رعيتّه" فإن قصر الآباء والمربّون والمعلّمون في

(٤١) سورة التحريم رقم الآية : ٦

القيام بهذه المسؤولية الواجبة فإن الله تبارك وتعالى سيحاسبهم على تقصيرهم، ويسألهم عن نتائج إهمالهم، فيا خجلة قوم من مشهد يوم عظيم إذا كان جواب أولادهم أو رعيتهم أو تلامذتهم أمام الربّ "ربنا إتنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا، ربنا ءاتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً" فلذا يجب أن ينظر إلى هذه بعين الاعتبار والاهتمام .

وقد دلت على فضل العلم والتربية أحاديث كثيرة، فمن أهمها ما يأتي:

أولاً: في العلم والتعلم:

وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ".^{٤٢}

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال "وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يُلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ".^{٤٣}

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "مَنْ حَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ".^{٤٤}

وعن صفوان بن عسالٍ أن النبي ﷺ قال "إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنحتها لِطالِبِ الْعِلْمِ رضا بما طلب"^{٤٥}

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَطَالِبُ الْعِلْمِ يَسْتَعْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْبَحْرِ"^{٤٦}

(٤٢) رواه البخاري ومسلم.

(٤٣) الصحيح لمسلم رحمه الله، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

(٤٤) رواه الترمذي رحمه الله .

(٤٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

(٤٦) جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا".^{٤٧}

وعن أبي أمامة رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ "فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ"، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتِ لِيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرِ".^{٤٨}

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أجنَحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَعْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَاتُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ".^{٤٩}

وعن أنس بن مالك قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ".^{٥٠}

وعن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: "ثلاث تتبع المسلم بعد موته: صدقة أمضاها يجرى له أجرها، وولد صالح يدعو له، وعلم أفشاه فععمل به من بعده".^{٥١}

وقال ﷺ: "إذا أراد الله بعبد خيرا جعل فيه ثلاث خلال: فقهه في الدين، وزهده في الدنيا، وبصره عيوبه".^{٥٢}

(٤٧) متفق عليه.

(٤٨) رواه الترمذي .

(٤٩) رواه أبو داود والترمذي.

(٥٠) جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي.

(٥١) رواه ابن ماجه.

(٥٢) رواه الديلمي في الفردوس، والبيهقي في الشعب.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: "خير دينكم أيسره، وخير العبادة الفقه"^{٥٣}.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد"^{٥٤}.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "لكل شيء عماد، وعماد هذا الدين الفقه، وما عبد الله بشيء أفضل من فقهه في الدين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد"^{٥٥}.

وعن ابن الزبير، عن النبي ﷺ قال: "ما من عبد يغدو في طلب العلم مخافة أن يموت جاهلاً، أو في إحياء سنة مخافة أن تدرس، إلا كان كالغازي الراح في سبيل الله عز وجل، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه"^{٥٦}.

وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: "من أدى الفريضة وعلم الناس الخير كان فضله على المجاهد العابد كفضلي على أدناكم رجلاً، ومن بلغه عن الله فضل فأخذ بذلك الفضل الذي بلغه أعطاه الله ما بلغه وإن كان حدثه كاذباً"^{٥٧}.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "قليل العلم خير من كثير العبادة، وكفى بالمرء علماً إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه، إنما الناس رجالان عالم وجاهل، فلا تمار العالم ولا تحاور الجاهل"^{٥٨}.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "نَضَّرَ اللَّهُ أُمَّراً سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ"^{٥٩}.

٥٣ (الفقيه والمتفقه للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر والبحث العلمي، مصر- طبعة عام ١٤٢٨ هـ الموافق ل ٢٠٠٧ م.

٥٤ (رواه الترمذي "٢٦٨١"، وابن ماجه "٢٢٢٢")

٥٥ (رواه الخطيب في الجامع .

٥٦ (جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي .

٥٧ (رواه ابن عدي في الكامل ٥٩ / ٢، والطبراني في الأوسط "٥١٢٥".

٥٨ (رواه الطبراني في الكبير، وفي الأوسط، والبخاري في التاريخ الكبير.

٥٩ (رواه الترمذي رحمه الله .

وروي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "نعمت العطية ونعمت الهدية كلمة
حكمة تسمعها فتنتطوي عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلّمه إياها تعدل عبادة
سنة" ^{٦٠}.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "الحكمة تزيد الشريف شرفاً، وترفع
المملوك حتى تجلسه مجلس الملوك" ^{٦١}.

وعن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: "يبعث الله العالم والعابد فيقال للعابد: ادخل
الجنة، ويقال للعالم: اشفع للناس كما أحسنت أدبهم". قال شبلي: يعني: تعليمهم. ^{٦٢}

وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: "لأن تغدو فتتعلم باباً من العلم خير لك من أن
تصلي مائة ركعة" ^{٦٣}.

وعن أبي هريرة وأبي ذر قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: "إذا جاء الموت طالب
العلم وهو على تلك الحال مات شهيداً" ^{٦٤}.

وعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى
وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ،
وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَعَّعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا
وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ، لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ
كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فُقِّهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَتَفَعَّهَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ
يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ". ^{٦٥}

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "اطْلُبُوا الْعِلْمَ
وَلَوْ بِالصِّينِ فَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ". ^{٦٦}

٦٠) المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.

٦١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للإمام الحافظ أبي نعيم الأصبهاني، دار الحديث، القاهرة، سنة الطبع ١٤٣٠ هـ الموافق ل ٢٠٠٩ م.

٦٢) رواه ابن عدي في الكامل.

٦٣) رواه ابن ماجه.

٦٤) رواه البزار في سنده، والخطيب في الفقيه والمتفقه.

٦٥) متفقٌ عَلَيْهِ.

٦٦) جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ".^{٦٧}

وعن أنس رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ".^{٦٨}

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "من سئل عن علم ثم كتبه أجم يوم القيامة بلجام من نار"^{٦٩}

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِرَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا".^{٧٠}

وحدثنا إسحق بن يحيى بن طلحة حدثني ابن كعب بن مالك عن أبيه : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار^{٧١}

وعن ابن عمر: عن النبي صلى الله عليه و سلم قال من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار^{٧٢}

وعن أبي هارون العبدي : قال كنا نأتي أبا سعيد فيقول مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه و سلم إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال إن الناس لكم تبع وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرضين يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً^{٧٣}

(٦٧) رواه مسلم رحمه الله.

(٦٨) رواه الترمذي رحمه الله.

(٦٩) الجامع الصحيح سنن الترمذي.

(٧٠) متفق عليه.

(٧١) الجامع الصحيح سنن الترمذي.

(٧٢) المرجع السابق.

(٧٣) المرجع السابق.

وعن سماك بن حرب قال سمعت عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود يحدث عن أبيه قال: قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع فرب مبلغ أوعى من سامع^{٧٤}

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان العلم بالثريا لتناولهُ ناسٌ من أبناء فارس^{٧٥}

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "خيركم في الإسلام أحاسنكم أخلاقاً إذا فقهوا"^{٧٦}

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم وينقارب الزمان وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهزج قال الهزج أيما هو يا رسول الله؟ قال القتل القتل"^{٧٧}

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ، قال "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فلننبؤاً مفعداً من النار"^{٧٨}.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول "الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكر الله تعالى، وما والاه، وعالماً، أو متعلماً"^{٧٩}.

وعن أبي أمامة الباهلي، أن النبي ﷺ قال "عليكم بهذا العلم قبل أن يقبض وقبل أن يرفع" ثم قال: "العالم والمتعلم شريكان في الأجر ولا خير في سائر الناس بعد، وجمع بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام"^{٨٠}.

(٧٤) الجامع الصحيح سنن الترمذي.
(٧٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.
(٧٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل.
(٧٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل.
(٧٨) رواه البخاري رحمه الله.
(٧٩) رواه الترمذي.
(٨٠) رواه ابن ماجه "٢٢٨"، والطبراني في المعجم الكبير.

وعن عثمان بن عفان، قال: قال رسول الله ﷺ: "يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء"^{٨١}.

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "للأنبياء على العلماء فضل درجتين، وللعلماء على الشهداء فضل درجة"^{٨٢}.

وعن جميل بن قيس، أن رجلاً جاء من المدينة إلى أبي الدرداء وهو بدمشق، فسأله عن حديث. فقال له أبو الدرداء: ما جاءت بك حاجة ولا جئت في طلب التجارة، ولا جئت إلا في طلب الحديث؟ فقال الرجل: بلى، فقال له أبو الدرداء: أبشر، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من عبد يخرج يطلب علماً إلا وضعت له الملائكة أجنحتها، وسلك به طريق إلى الجنة، وإنه ليستغفر للعالم من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ولكنهم ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"^{٨٣}.

وعن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: "من غدا لعلم يتعلمه سهل الله له طريقاً إلى الجنة وفرشت له الملائكة أجنحتها، وصلت عليه حيتان البحر، وملائكة السماء، وللعلماء على العابد من الفضل كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، والعلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، فمن أخذ به أخذ بالحظ الوافر، وموت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد، ونجم طمس، وموت قبيلة أيسر من موت عالم"^{٨٤}.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "علماء هذه الأمة رجالان: فرجل أعطاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه صفرًا ولم يشتر به ثمنًا، أولئك يصلي عليهم طير السماء وحيتان البحر ودواب الأرض والكرام الكاتبون. ورجل آتاه الله علماً فضن به

(٨١) رواه ابن ماجه .

(٨٢) جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي .

(٨٣) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والدارمي.

(٨٤) جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي.

عن عباده وأخذ به صفرًا واشترى به ثمنًا، فذلك يأتي يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار" ^{٨٥}.

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: "نضر الله عبدًا سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم الجماعة، فإن الدعوة تحيط من ورائهم" ^{٨٦}.

وعن واثلة بن الأسقع: أن رسول الله ﷺ قال: "من طلب علمًا فأدرکه كتب الله عز وجل له كفلين من الأجر، ومن طلب علمًا فلم يدركه كان له كفل من الأجر" ^{٨٧}.

وعن أبي يوسف قال: سمعت أبا حنيفة رحمه الله يقول: حجبت مع أبي سنة ثلاث وتسعين ولي ست عشرة سنة، فإذا شيخ قد اجتمع الناس عليه فقلت لأبي: من هذا الشيخ؟ فقال: هذا رجل قد صحب النبي ﷺ يقال له: عبد الله بن الحارث بن جزء، فقلت لأبي: فأى شيء عنده؟ قال: أحاديث سمعها من رسول الله ﷺ. فقلت لأبي: قدمني إليه حتى أسمع منه، فتقدم بين يدي وجعل يفرج الناس حتى دنوت منه، فسمعته يقول: قال رسول الله ﷺ: "من تفقه في دين الله كفاه الله همه، ورزقه من حيث لا يحتسب" ^{٨٨}.

وعن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: "يبعث الله العباد يوم القيامة، ثم يميز العلماء، ثم يقول لهم: يا معشر العلماء إنني لم أضع علمي فيكم لأعذبكم، اذهبوا فقد غفرت لكم" ^{٨٩}.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ مر بمجلسين في مسجده، أحد المجلسين يدعون الله، ويرغبون إليه، والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه، فقال رسول

(٨٥) رواه الطبراني في الأوسط.
(٨٦) رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه.
(٨٧) رواه الدارمي، والطبراني في المعجم الكبير.
(٨٨) رواه أبو نعيم في مسند أبي حنيفة.
(٨٩) رواه البيهقي في المدخل.

الله ﷺ: "كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من الآخر، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل، وإنما بعثت معلمًا"، ثم أقبل فجلس معهم^{٩٠}.

وعن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: "العالم أمين الله في الأرض"^{٩١}.
عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: "تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قرينة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأئس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الإخلاء، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم في الخير قادة وأئمة، تقتص آثارهم، ويقتدى بأفعالهم، وينتهي إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلقتهم، وبأجنتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس وحيثان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلا في الدنيا والآخرة، التفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، هو إمام العمل والعمل تابعه، ويلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء"^{٩٢}.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علمًا يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع الشمس ذلك اليوم"^{٩٣}.

ومن حديث ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "ما أهدى المرء لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيد الله بها هدى أو يرده بها عن ردى"^{٩٤}.

(٩٠) رواه الدارمي.

(٩١) رواه الديلمي في الفردوس.

(٩٢) جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي.

(٩٣) رواه الطبراني في الأوسط.

(٩٤) جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي.

وعن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من معادن التقوى تعلمك إلى ما قد علمت علم ما لم تعلم، والنقص فيما علمت قلة الزيادة فيه، وإنما يزهد الرجل في علم ما لم يعلم قلة انتفاعه بما علم" ٩٥.

وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: "لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة" ٩٦.

وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "مثل الذي يتعلم العلم لا يحدث به الناس كمثل الذي رزقه الله مالا لا ينفق منه" ٩٧.

وعن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: "من الصدقة أن يتعلم الرجل العلم فيعمل به، ثم يعلمه" ٩٨.

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: "ألا أخبركم عن أجود الأجواد"؟، قالوا: نعم يا رسول الله. قال: "الله أجود الأجواد، وأنا أجود ولد آدم، وأجودهم من بعدي رجل علم علماً فنشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده، ورجل جاد بنفسه في سبيل الله حتى قتل" ٩٩.

وعن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: "ما تصدق رجل بصدقة أفضل من علم ينشره" ١٠٠.

وعن عوف بن مالك الأشجعي، أنه قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ ذات يوم إذ نظر إلى السماء فقال: "هذا أوان يرفع العلم". فقال له رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد: يرفع عنا يا رسول الله وفينا كتاب الله وقد علمناه أبناءنا ونساءنا؟ فقال رسول الله ﷺ: "إن كنت لأحسبك من أئمة أهل المدينة"... وذكر له ضلالة أهل الكتاب وعندهم ما عندهم من كتاب الله. فلقى جبير بن نفير شداد بن أوس بالمصلى فحدثه

٩٥) رواه الخطيب في تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، مكتبة الخانجي القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٩٦) رواه الترمذي في سننه "٢٦٨٦"

٩٧) جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي.

٩٨) رواه البيهقي في المدخل.

٩٩) رواه أبو يعلى في مسنده.

١٠٠) رواه الطبراني في المعجم الكبير.

هذا الحديث عن عوف بن مالك، فقال: صدق عوف ثم قال شداد: هل تدري ما رفع العلم؟ قال: قلت: لا أدري. قال: ذهاب أوعيته، هل تدري أي العلم يرفع أول؟ قال: قلت: لا أدري، قال: الخشوع حتى لا يرى خاشعاً^{١٠١}.

وعن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال: "لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس خصال: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه"^{١٠٢}. ومن هذه كلُّها نعلم فضيلة العلم ووجوب الاهتمام به في الحياة وفوائده بعد الممات.

(١٠١) رواه النسائي في سننه الكبرى.
(١٠٢) رواه الترمذي.

ثانياً في التربية:

وأما التربية فهي من أهمّ المسؤوليات التي اهتم بها الإسلام، وحضّ عليها النبيّ ﷺ ووجّه أنظار أصحابه الكرام إليها. فهي مهمة عظيمة فاضلة، ومسئولية كبيرة شريفة، وعمل شاق يحتاج إلى طول الزمان، تهيبّ الولد للقيام بدوره المنوط به من دوره لنفع نفسه ونفع مجتمعه وأمتّه، وهي تعلّم الولد لتحمل الشدائد والمصائب والفتن التي قد يواجهها هو في مستقبل حياته، وهي في الأصل تنشئة الطفل وإعداده إعداداً كاملاً من جميع جوانبه في حياته الدنيا والآخرة حتى يكون سعيداً فيهما، فهي تشمل جميع مراحل الحياة الإنسانية ونواحيها الاجتماعية والفردية والعقلية والنفسية والجسمية وغيرها. والرسول ﷺ قد أكد على ضرورة العناية بتربية الأولاد ووجوب القيام بأمرها والاهتمام بأدائها. وقد وردت أحاديث كثيرة في فضيلة التربية والقيام بأدائها منها قوله ﷺ "أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم" ^{١٠٣} فهذا الحديث يشير إلى أهمية التربية وضرورتها.

ومنها: قوله ﷺ "لأن يادّب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع" ^{١٠٤}

ومنها: قوله ﷺ "ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن" ^{١٠٥}

ومنها: قوله ﷺ "أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب أهل بيته وتلاوة القرآن" ^{١٠٦}

ومنها: قوله ﷺ "علّموا أولادكم وأهليكم الخير وادّبوهم" ^{١٠٧}

فهذه الأحاديث وما قبلها تلقي الضوء إلى أهمية التعلم والتربية وضرورة القيام بها، فإنهما المقصود من بعثة الرسل وإنزال الكتب، وإليهما أشار النبي ﷺ، ووعد جزيل الفضل والثواب لمن يقوم بأعبائهما. فما على المربين والمعلّمين والآباء ومن على

^{١٠٣} رواه ابن ماجه رحمه الله.

^{١٠٤} رواه الترمذي رحمه الله .

^{١٠٥} رواه الترمذي رحمه الله.

^{١٠٦} رواه الطبراني رحمه الله .

^{١٠٧} رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور.

عوانتهم مسؤولية التعلم والتربية إلا أن يفهموا هذه الحقيقة، وأن ينهجوا منهج الرسول ﷺ في مواظبه وإرشاداته في تعليم الأولاد وتربيتهم إذا أرادوا لأولادهم الخير والكمال، فالرسول هو الذي نال المرتبة الأولى في التربية والأدب، لأن الله سبحانه هو الذي رباه وأدبه وأحسن تأديبه حيث قال ﷺ " أدبني ربّي فأحسن تأديبي".

الفصل الثالث

اعتناء الصحابة والتابعين بالعلم والتربية

وإذا لاحظنا اعتناء الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من أكابر أئمة العلم والدين، من المفسرين، والقراء، والمحدثين، والفقهاء، والقضاة، والمفتين، والأدباء، والمؤرخين، بالعلم والتربية نراهم أنهم أنفقوا أوقاتهم النفيسة ولحظاتهم القيمة ووهبوا حياتهم السعيدة للعلم والتربية والتزود حتى منهم من عزبوا عن الزواج تفرغاً منهم للتعلم والتعليم لحبهم للعلم وتعشّقهم له لاستيلائه على مشاعرهم وحواسهم. فصار العلم أنسهم الدائم، ومعشوقهم الأبدي الذي لا يفارق، ويناجى ويسامر في الحضر والسفر، وفي الليل والنهار، ولا انفكاك عنه إلا بفراق الروح للجسد لأنه كان لهم بمثابة الغذاء والدواء، والخبز والماء، والشمس والهواء، فلا حياة لقلوبهم إلا به، ولا ارتياح لعيونهم وأذهانهم وأفكارهم إلا بالنظر إليه والولوج فيه. فهؤلاء أهل فضل وإيثار، صبروا على العزوبة وأثارها ليكونوا أوفى عطاء وخدمة للعلم وأهله، ورأوا متعهم بالازدياد من العلم، والتصنيف والتأليف فيه أغنى لهم سرورا وحبورا من أنس الزواج والذرية والأولاد والأحفاد، فماتوا عزابا وبقيت تأليفهم أولادهم المخلة تذكر بهم وتعرف بفضلهم فجزاهم الله عن العلم والدين والإسلام خير الجزاء. ومن قراءة كتبهم يدرك جيلنا الجديد غلاء العلم عند الآباء والأجداد، وشدة تعلقهم به وفنائهم فيه، وعظيم إيثارهم له على ما سواه من أنس الحياة وتلبية الاحتياج الفطري حتى يتبين شبابنا قيمة العلم عند أسلافهم المتقدمين، فتتبارى فيه همّهم، وتتنافس في تحصيله عزائمهم فيعيد الأحفاد أمجاد الأجداد ويكون من ذلك الخير الكثير للإنسانية جميعا. وما حملهم عليه إلا الشوق المتزايد للعلم الذي اشتعلت همّهم به تعلقا وحباً

وتحصيلاً، وجمعا ونشرا وتدويناً، حتى غدا العلم منهم بمنزلة الروح من الجسد، والماء من العود الأخضر، والهواء من حياة الإنسان، لا يستطيعون له فراقاً، ولا يطبقون التنازل عن تحصيل أدنى قسط منه يمكنهم تحصيله، فصار العلم منهم بموقع الغذاء والدواء جميعاً. ولم يكتف الصحابة بدراسة الحديث فيما بينهم، بل حثوا على طلبه وحفظه وحضوا التابعين على مجالسة أهل العلم والأخذ عنهم، ولم يتركوا وسيلة لذلك إلا أفادوا منها.

كان الإمام محمد بن شهاب الدين الزهري التابعي الجليل، والمحدث الفقيه رحمه الله تعالى: إذا جلس بين كتبه ينسى كل ما حوله، وقال القاضي ابن خلكان في ترجمته في "الوفيات" "وكان ابن شهاب إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله، فيشتغل بها عن كل شيء من أمور الدنيا، فقالت له امرأته يوماً: والله لهذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر".

وقد جاء في وصية الإمام أبي حنيفة لتلميذه الإمام القاضي أبي يوسف رحمهما الله بعد أن ظهر له منه الرشد وحسن السيرة والإقبال على الناس: واطلب العلم أولاً، ثم اجمع المال من الحلال، ثم تزوج، فإنك إن اشتغلت بطلب المال في وقت التعليم عجزت عن طلب العلم، ودعاك المال إلى شراء الجواري والغلمان وتشتغل بالدنيا. وإياك أن تشتغل بالنساء قبل تحصيل العلم، فيضيع وقتك، ويجتمع عليك الولد، ويكثر عيالك، فتحتاج إلى القيام بحوائجهم وتترك العلم. واشتغل بالعلم في عنفوان شبابتك ووقت فراغ قلبك وخاطررك، ثم اشتغل بالمال ليجمع عندك فإن كثرة الولد والعيال تشوش البال، فإن جمعت المال فتزوّج، وعليك بتقوى الله تعالى وأداء الأمانة والنصيحة لجميع الخاصة والعامة. وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تفقهوا قبل أن تُسوّدوا. قال شمر: معناه تعلّموا الفقه قبل أن تُزوّجوا، فتصيروا أرباب بيوت، فتشغّلوا بالزواج عن العلم، من قولهم: استاد الرجل إذا تزوج في سادة.

قال الخطيب: وسمعت السّمْسِيَّ يحكي أن ابن جرير مكث أربعين سنة، يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة، وحدّث تلميذه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني،

في كتابه المشهور "الصلة" وهو كتاب وصل به تاريخ ابن جرير: أن قوما من تلاميذ ابن جرير، حصلوا أيام حياته، منذ بلغ الحُلم إلى أن توفي وهو ابن ست وثمانين سنة، ثم قسموا عليها أوراق مصنفاًته، فصار منها على كل يوم أربع عشرة ورقة. وهذا شيء لا يتهيأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق. وحكى تلميذه أبو بكر بن كامل - أحمد بن كامل الشجريّ القاضي صاحب ابن جرير- قال : قال لي أبو جعفر: حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين، ورأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله ﷺ، وكان معي مِخلاة مملوءة حجارة، وأنا أرمي بين يديه فقال له المعبر: إنه إن كبر نصح في دينه وذب عن شريعته . فحرص أبي على معونتي على طلب العلم وأنا حينئذ صغير.

وقال الشعبي: رحل مسروق في آية إلى البصرة، فسأل عن الذي يفسرها فأخبر أنه بالشام، فتجهز إلى الشام حتى سأل عنها. وقال مارأيت أحدا أطلب للعلم في الآفاق من مسروق.

وقال سعيد بن المسيب: إني كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد.

وقال أربدة التميمي: ماسمعت بأرض فيها علم إلا أتيتها.

وقال إبراهيم بن يحيى: لقد طلبت العلم بالمدينة حتى ظن الغريب إذا دخلها أنني بها غريب لشدة طلبي وحرصني على العلم.

وقال ابن سيرين: قدمت الكوفة فوجدت بها أربعة آلاف شاب يطلبون الحديث، وكان أبوبكر الخياط النحوي يدرس جميع أوقاته، حتى في الطريق وكان ربما سقط في جرف أو خبطته دابة.

وكان ابن الفرات لا يترك كل يوم إذا أصبح أن يحفظ شيئاً وإن قل.

وقد ذكر من حكمة لقمان: قال لابنه: يا بني، إن الحكمة أجلسست المساكين مجالس الملوك.

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: عاش يونس بن حبيب ٨٨ سنة لم يتزوج ولم يتسرّ، ولم تكن له همة إلا طلب العلم ومحادثة الرجال.

قال سفيان بن عيينة: طلب العلم والجهاد فريضة على جماعتهم ويجزئ فيه بعضهم عن بعض، وتلا هذه الآية "فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ"^{١٠٨}

وقالت الحكماء: علم الرجل ولده المخلد^{١٠٩}.

حدثنا وكيع، قال: سمعت سفيان الثوري يقول: لا أعلم من العبادة شيئاً أفضل من أن يعلم الناس العلم.^{١١٠}

وقال ابن وهب: وسمعت مالكا مرة أخرى يقول: الذي يقع في قلبي: إن الحكمة هي الفقه في دين الله. قال: ومما يبين ذلك: أن الرجل تجده عاقلاً في أمر الدنيا ذا نظر فيها وبصر بها ولا علم له بدينه، وتجد آخر ضعيفاً في أمر الدنيا عالماً بأمر دينه بصيراً به يؤتاه الله إياه ويحرمه هذا، فالحكمة الفقه في دين الله.^{١١١}

وقال ابن وهب، وسمعت مالكا يقول: الحكمة والعلم نور يهدي به الله من يشاء وليس بكثرة المسائل.^{١١٢}

وقال ابن مسعود: الدراسة صلاة.

وعن قتادة، قال: باب من العلم يحفظه الرجل لصلاح نفسه وصلاح من بعده أفضل من عبادة حول^{١١٣}.

قال ابن عباس: تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلي من إحيائها^{١١٤}.

١٠٨ (سورة التوبة، رقم الآية: ١٢٢).

١٠٩ (جامع بيان العلم وفضله^{١٠٩}).

١١٠ (جامع بيان العلم وفضله).

١١١ (جامع بيان العلم وفضله).

١١٢ (جامع بيان العلم وفضله).

١١٣ (رواه البغوي في مسند ابن الجعد).

١١٤ (جامع بيان العلم وفضله).

وعن أبي هريرة، أنه قال: لأن أجلس ساعة فأفقه في ديني أحب إلي من أن أحيي ليلة إلى الصباح^{١١٥}.

وعن ابن وهب، قال: كنت عند مالك بن أنس فجاءت صلاة الظهر - أو العصر - وأنا أقرأ عليه، وأنظر في العلم بين يديه فجمعت كتبي وقمت لأركع، فقال لي مالك: ما هذا؟ قلت: أقوم إلى الصلاة. قال: فقال: إن هذا لعجب، ما الذي قمت إليه بأفضل من الذي كنت فيه، إذا صحت النية فيه^{١١٦}.

وحدثنا محمد بن يوسف، قال: سمعت الربيع بن سليمان، يقول: سمعت الشافعي، يقول: طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة^{١١٧}.

وقال أبو سفيان الحميري: ليس الأدب إلا في صنفين من الناس: رجل تأدب بالسلطان، ورجل تأدب بالفقه، وسائر الناس همج^{١١٨}.

وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: الناس ثلاث: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، والباقي همج رعا ع أتباع كل ناعق^{١١٩}.

وقال أبو الدرداء، من رأى الغدو والرواح إلى العلم ليس بجهد فقد نقص عقله ورأيه^{١٢٠}.

وعن الأزدي، قال: سألت ابن عباس عن الجهاد؟ فقال: ألا أدلك على خير من الجهاد؟ قلت: بلى، قال: تبني مسجداً وتعلم فيه الفرائض والسنة والفقه في الدين^{١٢١}.
وعن إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس، قال: قال لي عمر مولى غفرة: يا إسحاق عليك بالعلم فإنه لا يعدمك منه كلمة تدل على هدى أو أخرى تنهى عن رديئ^{١٢٢}.

(١١٥) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه ١/ ٢٥-٢٦

(١١٦) جامع بيان العلم وفضله

(١١٧) رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في المدخل.

(١١٨) جامع بيان العلم وفضله

(١١٩) رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه.

(١٢٠) جامع بيان العلم وفضله

(١٢١) رواه الفسوي ٣/ ٤٠٠، (جامع بيان العلم وفضله)

(١٢٢) جامع بيان العلم وفضله.

وعن ابن سيرين، قال: دخلت المسجد والأسود بن سريع يقص وقد اجتمع أهل المسجد وفي ناحية أخرى من المسجد حلقة من أهل الفقه يتحدثون بالفقه ويتذكرون، فركعت ما بين حلقة الذكر وحلقة الفقه، فلما فرغت من السبحة قلت: لو أني أتيت الأسود بن سريع فجلست إليه فعسى أن يصيبهم إجابة أو رحمة فتصيبني معهم، ثم قلت: لو أتيت الحلقة التي يتذكرون فيها الفقه فتفقهت معهم لعلني أسمع كلمة لم أسمعها فأعمل بها، فلم أزل أحدث نفسي بذلك وأشاورها حتى جاوزتهم فلم أجلس إلى واحد منهم وانصرفت، فأتاني آت في المنام فقال: أنت الذي وقفت بين الحلقين؟ قلت: نعم. قال: أما إنك لو أتيت الحلقة التي يذكرون فيها الفقه لوجدت جبريل معهم^{١٢٣}.

ولما حضرت معاذ بن جبل - رضي الله عنه - الوفاة قال لجاريتته: ويحك هل أصبحنا؟ قالت: لا، ثم تركها ساعة، ثم قال: انظري، فقالت: نعم. فقال: أعوذ بالله من صباح إلى النار، ثم قال: مرحبًا بالموت، مرحبًا بزائر جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل، ولظمأ الهواجر في الحر الشديد، ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر^{١٢٤}.

وعن الحسن، في قوله: "رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً" قال: العلم والعبادة "وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً" قال: الجنة^{١٢٥}.

وقال ابن وهب: سمعت سفيان الثوري، يقول: الحسنة في الدنيا الرزق الطيب والعلم، والحسنة في الآخرة الجنة^{١٢٦}.

وعن الحسن: أن الرجل ليتعلم الباب من العلم فيعمل به خير من الدنيا وما فيها^{١٢٧}.

(١٢٣) جامع بيان العلم وفضله.

(١٢٤) رواه أحمد في الزهد .

(١٢٥) رواه الترمذي .

(١٢٦) رواه الطبري في تفسيره .

(١٢٧) جامع بيان العلم وفضله.

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه- قال: لا يزال الفقيه يصلي، قالوا: وكيف يصلي؟
قال: ذكر الله تعالى قلبه ولسانه^{١٢٨}.

وعن أبي هريرة وأبي ذر، قالوا: باب من العلم يتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوع، وباب من العلم يعلمه عمل به أو لم يعمل به أحب إلينا من مائة ركعة تطوع، وقالوا: سمعنا رسول الله -ﷺ- يقول: "إذا جاء الموت طالب العلم وهو على تلك الحال مات شهيداً"^{١٢٩}

وقال صالح المري: سمعت الحسن البصري- يقول: الدنيا كلّها ظلمة إلا مجالس العلماء^{١٣٠}

وعن ميمون، قال: إن مثل العالم في البلد كمثل عين عذبة في البلد^{١٣١}.

وعن عبد الله بن المبارك أنه قال: خير سليمان بن داود بين الملك والعلم فاختر العلم، فأتاه الله الملك والعلم معه باختياره العلم^{١٣٢}.

وقال ابن مسعود: "يرفع حجاب ويوضع حجاب لطالب العلم حتى يصل إلى الرب عز وجل"^{١٣٣}.

وعن عبد الرزاق قال "سمعت سفيان يقول لرجل من العرب: ويحكم اطلبوا العلم، فإني أخاف أن يخرج العلم من عندكم فيصير إلى غيركم فتذلون، اطلبوا العلم فإنه شرف في الدنيا وشرف في الآخرة".

وقيل لبعض حكماء الأوائل: أيّ الأشياء ينبغي للعالم أن يقتبسها؟ قال: الأشياء التي إذا غرقت سفينته سبحت معه، يعني: العلم.

(١٢٨) جامع بيان العلم وفضله
(١٢٩) رواه البزار في سننه، والطبراني في الأوسط .
(١٣٠) جامع بيان العلم وفضله
(١٣١) جامع بيان العلم وفضله
(١٣٢) جامع بيان العلم وفضله
(١٣٣) جامع بيان العلم وفضله

قال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بني تعلموا العلم، فإن استغنيتم كان لكم كمالاً، وإن افتقرتم كان لكم مآلاً.

وعن أبي الدرداء أنه قال: يرزق الله العلم السعداء ويحرمه الأشقياء.

وفي رواية كميل بن زياد النخعي، عن علي كرم الله وجهه قال: العلم خير من المال، لأن المال تحرسه والعلم يحرسك، والمال تفنيه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، مات خزّان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة^{١٣٤}

وقال بعض العلماء: من شرف العلم وفضله أن كل من نسب إليه فرح بذلك وإن لم يكن من أهله، وكل من دفع عنه ونسب إلى الجهل عز عليه ونال ذلك من نفسه وإن كان جاهلاً^{١٣٥}.

وعن عمر بن الخطاب أنه قال: أيها الناس عليكم بطلب العلم، فإن لله رداء محبة فمن طلب باباً من العلم رداه الله بردائه ذلك، فإن أذنب ذنباً استعته، وإن أذنب ذنباً استعته لئلا يسلبه رداءه ذلك، وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت^{١٣٦}.

قال جعفر بن محمد الكمال: كل الكمال التفقه في الدين، والصبر على النائبة، وتدبير المعيشة، قال: وما موت أحد أحب إلى إبليس من موت فقيه.

وقال بعض الحكماء: من الدليل على فضيلة العلماء أن الناس تحب طاعتهم.

وقال الأحنف: كاد العلماء أن يكونوا أرباباً، وكل عز لم يؤكد بعلم فالى ذل ما يصير.

ويقال: مثل العلماء مثل الماء حينما سقطوا نفعوا.

وقال أبو الأسود الدؤلي: الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

١٣٤) جامع بيان العلم وفضله.

١٣٥) جامع بيان العلم وفضله.

١٣٦) جامع بيان العلم وفضله.

قيل لبزرجمهر: أيما أفضل الأغنياء أم العلماء؟ فقال العلماء. قيل له: فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء؟ قال "لمعرفة العلماء بفضل الغنى وجهل الأغنياء بفضل العلم".

وقال البعض: العلماء في الأرض كالنجوم في السماء، والعلماء أعلام الإسلام، والعالم كالسراج من مر به اقتبس منه ولولا العلم كان الناس كالبهائم.

وعن الحسن، قال: كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وبصره ولسانه ويده وصلاته وزهده، وإن كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به فيكون خيرًا له من الدنيا وما فيها لو كانت له فجعلها في الآخرة^{١٣٧}.

أخبرنا مصعب بن عبد الله، قال: قال لنا أبي: اطلبوا العلم فإن يكن لك مال أجداك جمالاً، وإن لم يكن لك مال أكسبك مالاً.

وكان الحسن يقول: والله ما طلب هذا العلم أحد إلا كان حظه منه ما أراد به.

كتب رجل إلى أخ له: إنك قد أوتيت علمًا فلا تطفئ نور علمك بظلمات الذنوب فتبقى في ظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم إلى الجنة^{١٣٨}

وعن ابن عبد السلام، عن كعب، قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: تعلم الخير وعلمه الناس، فإني منور لمعلم العلم ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا لمكانهم^{١٣٩}.

حدثنا الميرد، قال: كان يقال: تعلموا العلم، فإنه سبب إلى الدين، ومنبهة للرجل، ومؤنس في الوحشة، وصاحب في الغربة، ووصلة في المجالس، وجالب للمال، وذريعة في طلب الحاجة.

وقال ابن المقفع: اطلبوا العلم، فإن كنتم ملوكًا برزتم، وإن كنتم سوقة عثتم.

١٣٧) جامع بيان العلم وفضله.
١٣٨) رواه البيهقي في الشعب.
١٣٩) رواه أحمد في الزهد.

وقال أيضاً: إذا أكرمك الناس بمال أو سلطان فلا يعجبك ذلك، فإن زوال الكرامة بزوالها، ولكن ليعجبك إذا أكرموك لعلم أو دين.

قيل للقمان الحكيم: أي الناس أفضل؟ قال: مؤمن عالم إن ابتغي عنده الخير وجده.

قال الحجاج لخالد بن صفوان: من سيد أهل البصرة؟ فقال له: الحسن. فقال: وكيف ذلك وهو مولى؟ فقال: احتاج الناس إليه في دينهم واستغنى عنهم في دنياهم، وما رأيت أحداً من أشرف أهل البصرة إلا وهو يروم الوصول في حلقة إليه ليستمع قوله ويكتب علمه، فقال الحجاج: هذا والله السؤدد.

قال ابن عباس: قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ^{١٤٠}.

حدثنا أبو زرعة، قال: سمعت أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان: كل من لم يكتب العلم لا يؤمن عليه الغلط^{١٤١}

وعن الحسن، قال: طلب الحديث في الصغر كالنقش في الحجر^{١٤٢}

وأن لقمان الحكيم، قال لابنه: يا بني، ابتغ العلم صغيراً، فإن ابتغاء العلم يشقّ على الكبير.^{١٤٣}

قال عبد الله بن مسعود: يا أيها الناس تعلّموا العلم، فإن أحدكم لا يدري متى يختل إليه^{١٤٤}.

وقال عبد الله بن مسعود: زيادة العلم الابتغاء، ودرك العلم السؤال، فتعلم ما جهلت، واعمل بما علمت.

وقال ابن شهاب: العلم خزانة مفاتيحها المسألة.

١٤٠) رواه أبو خيثمة في العلم.
١٤١) رواه الخطيب في الجامع.
١٤٢) رواه البيهقي في المدخل.
١٤٣) جامع بيان العلم وفضله.
١٤٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف.

وقال الحسن: من استتر عن طلب العلم بالحياء لبس للجهل سرباله، فاقطعوا سراويل
الجهل عنكم بدفع الحياء في العلم، فإنه من رق وجهه رق علمه.

وقال الخليل بن أحمد: الجهل منزلة بين الحياء والأنفة.

وعن زيد بن علي بن حسين، أنه قال: لا يستطيع العلم براحة الجسم .

وعن ابن عباس، قال: منهومان لا تتقضي نهتهما: طالب علم وطالب دنيا^{١٤٥}.

قال محمد بن إدريس الشافعي: كنت يتيماً في حجر أُمي فدفعتني في الكتاب ولم يكن
عندها ما تعطي المعلم، فكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام، فلما ختمت
القرآن دخلت المسجد فكنيت أجالس العلماء وكنيت أسمع الحديث أو المسألة فأحفظها،
ولم يكن عند أُمي ما تعطيني أشتري به قراطيس، فكنيت إذا رأيت عظماً يلوح آخذه
فأكتب فيه، فإذا امتلأ طرحته في جرة كانت لنا قديماً^{١٤٦}.

وسئل بعض العلماء أو الحكماء: ما السبب الذي ينال به العلم؟ قال: بالحرص عليه
يتبع، وبالحب له يستمع، وبالفراغ له يجتمع.

وقال الفراء: لا أرحم أحداً كرحمتي لرجلين: رجل يطلب العلم ولا فهم له، ورجل
يفهم ولا يطلبه، وإني لأعجب ممن في وسعه أن يطلب العلم ولا يتعلم^{١٤٧}.

وقيل لبزرجمهر: بم أدركت ما أدركت من العلم؟ قال: ببيكور كبكور الغراب، وصبر
كصبر الحمار، وحرص كحرص الخنزير^{١٤٨}.

وأن لقمان الحكيم قال لابنه: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي
القلوب بالحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء^{١٤٩}.

١٤٥) رواه الدارمي في سننه.

١٤٦) جامع بيان العلم وفضله .

١٤٧) جامع بيان العلم وفضله .

١٤٨) رواه الدينوري في المجالسة .

١٤٩) رواه مالك في الموطأ في كتاب العلم .

وعن الزهري، قال: إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة^{١٥٠}

قال الحسن: لولا النسيان لكان العلم كثيرًا^{١٥١}.

حدثنا أحمد بن مدرك، قال: سمعت حرملة، يقول: سمعت الشافعي، يقول: لا يطلب هذا العلم أحد بالمال وعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش وحرمة العلم أفلح^{١٥٢}.

وقال قتادة: لو كان أحد يكتفي من العلم بشيء لاكتفى موسى عليه السلام ولكنه قال: "هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُسُودًا"^{١٥٣}.

وعن أبي الأحوص، قال: قال عبد الله: إن الرجل لا يولد عالمًا وإنما بالعلم^{١٥٤}.

قال علي رضي الله عنه: تراوروا وتذاكروا هذا الحديث، فإنكم إن لم تفعلوا يدرس علمكم^{١٥٥}.

قال عكرمة: إن لهذا العلم ثمنًا. قيل: وما ثمنه؟ قال: أن تضعه عند من يحفظه ولا يضيعه^{١٥٦}.

حدثنا داود بن عمرو بن زهير الضبي، قال: سمعت فضيل بن عياض، يقول: أول العلم الإنصات، ثم الاستماع، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر^{١٥٧}

كان أنس بن مالك يقول: بلغني أن العلماء يسألون يوم القيامة كما تسأل الأنبياء يعني: عن تبليغه^{١٥٨}.

(١٥٠) رواه أبو نعيم في الحلية .
(١٥١) سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٦٩
(١٥٢) رواه الرامهرمزي في المحدث الفاصل "٨٤"
(١٥٣) الكهف: ٦٦
(١٥٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف.
(١٥٥) رواه الدارمي في سننه.
(١٥٦) رواه الخطيب في جامعه.
(١٥٧) جامع بيان العلم وفضله.
(١٥٨) رواه أبو نعيم في الحلية.

ويقال: ما صين العلم بمثل العمل به وبذله لأهله. وقالوا: النار لا ينقصها ما أخذ منها ولكن ينقصها ألا تجد حطبًا وكذلك العلم لا ينقصه الاقتباس منه، ولكن فقد حاملين له سبب عدمه.^{١٥٩}

عن سعيد بن المسيب، أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: إن من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب، وأن لا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفسين له سرًا، ولا تغتابن عنده أحدًا، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرتة، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته^{١٦٠}.

وقال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: إن حقًا على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية وأن يكون متبعًا لآثار من مضى قبله^{١٦١}

وقال الحسن: العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا تضروا بالعلم، فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيا فهم على أمة محمد - ﷺ ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا.^{١٦٢}

عن تمام بن أبي نجیح، قال: كنت جالسًا عند محمد بن سيرين إذ جاءه رجل فقال: إني رأيت الليلة أن طائرًا نزل من السماء على يasmineة فنتف منها ثم طار، حتى دخل في السماء فقال ابن سيرين: هذا قبض العلماء. قال تمام: فلم تمض تلك السنة حتى مات: الحسن، وابن سيرين، ومكحول، وستة من العلماء بالآفاق ماتوا تلك السنة^{١٦٣}.

وعن عبد الله بن عكيم، قال: سمعت ابن مسعود بدأ باليمين قبل الحديث، فقال: والله ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه عز وجل كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر- أو

١٥٩ (جامع بيان العلم وفضله.
١٦٠ رواه القاضي عياض في الإلماع.
١٦١ رواه أبو نعيم في الحلية.
١٦٢ (جامع بيان العلم وفضله.
١٦٣ (جامع بيان العلم وفضله.

قال: لليلته - ثم يقول: يا ابن آدم ما غرك بي، ابن آدم ما غرك بي، ما عملت فيما علمت، يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين^{١٦٤}

قال أبو الدرداء: إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي: قد علمت، فماذا عملت فيما علمت^{١٦٥}.

وقال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا^{١٦٦}

قال الحسن: الذي يفوق الناس في العلم جدير أن يفوقهم في العمل.

وقال فضيل بن عياض: قال لي ابن المبارك: أكثركم علما ينبغي أن يكون أكثركم خوفا^{١٦٧}.

وقال علي بن الحسين: كان نقش خاتم حسين بن علي: علمت فاعمل^{١٦٨}.

وقال يحيى بن يمان: سمعت سفيان الثوري يقول: العالم طبيب هذه الأمة والمال داؤها فإذا كان الطبيب يجتر الداء إلى نفسه فكيف يعالج غيره^{١٦٩}. فمن هذه كلها نفهم اعتناء السلف الصالح بالعلم ورغبتهم فيه وشوقهم له واجتهادهم على تحصيله.

اعتناؤهم بالتربية:

وأما اعتناؤهم بعملية التربية فقد كانت الصحابة والتابعين ومن نهجوا منهجهم حريصين على تربية الأولاد وتعليمهم وتنقيفهم وإصلاحهم، وقد اهتموا بأمر التعلم والتربية ونظروا إليهما بعين الاعتبار فلم يتركوا فرصة إلا اغتتموها في تعليم الأولاد وتربيتهم. ومن المسلم عند علماء النباتات أن البذرة حين يضعها الفلاح في

(١٦٤) رواه أبو نعيم في زوائد الزهد لابن المبارك.

(١٦٥) رواه أحمد في الزهد.

(١٦٦) رواه الإمام أحمد في الزهد.

(١٦٧) رواه البيهقي في الشعب.

(١٦٨) جامع بيان العلم وفضله.

(١٦٩) رواه أبو نعيم في الحلية.

أرض طيبة خصبة ويتعهد بها بالماء والسماد ويحميها من الحشرات والمؤذيات ثم لا يزال يلاحقها في تهذيب أشواكها وتقويم أغصانها، فإن هذه البذرة تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها ويقطف الإنسان من ثمارها وينتفع بأخشابها وأوراقها وجذورها ويتفياً ظلّالها على مدى الزمان والأيام. أما إذا وضعها في أرض ملساء لا ماء فيها ولا خصبة لتربّتها ولم يتعهد بها بالماء والسماد وغيرهما فإنها لا تؤتي أكلا ولا تعطي ثمرا ولا زهرا بل تصير عما قليل هشيما تذروه الرياح فكذلك النفس الإنسانية وما فيها من قابليات واستعدادات حينما تتعهد بها بالأخلاق الفاضلة وتنميتها بالعلم والتربية فإنها تنشأ على الخير والصلاح وتدرج على الكمال.

= قال الإمام الغزالي رحمه الله في إحيائه : "والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وإن عود الشرّ وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك... وصيانته بأن يادّبه ويهدّبه ويعلمه محاسن الأخلاق".

= روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدّب قال له "ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنيّ إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلمهم سير الحكماء، وأخلاق الأدباء، وتهدهم بي، وأدّبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء، ولا تتكلنّ على عذر منّي، فإنّي قد اتكلت على كفاية منك".

= وقال الحجاج لمؤدّب بنيه: "علمهم السباحة قبل الكتابة، فإنهم يجدون من يكتب عنهم، ولا يجدون من يسبح عنهم".

= وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل الشام يقول لهم "علّموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية".

= قال هشام بن عبد الملك لسليمان الكلبى مؤدّب ابنه "إن ابني هذا هو جلدة ما بين عيني، وقد وليتكَ تأديبه، فعليك بتقوى الله، وأدّ الأمانة، وأول ما أوصيك به أن تأخذه

بكتاب الله، ثم رَوّه من الشعر أحسنه ثم تخلل به في أحياء العرب، فخذ من صالح شعرهم، وبصره طرفاً من الحلال والحرام، والخطب والمغازي...".

= وقال عبد الملك بن مروان ينصح مؤدب ولده: "علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، واحملهم على الأخلاق الجميلة، ورَوّهم الشعر يشجعوا وينجدوا، وجالس بهم أشرف الرجال وأهل العلم منهم، وجنبهم السفلة والخدم فإنهم أسوأ الناس أدباً، ووقّره في العلانية، وأنبههم في السر، واضربهم على الكذب، إنّ الكذب يدعو إلى الفجور، وإنّ الفجور يدعو إلى النار...".

ومما سبق ندرك أن الصحابة والتابعين ومن سلكوا مسلكهم كانوا مهتمين بشأن العلم والتربية، ولم يتركوا فرصة إلا اغتنموها، وكانوا يحزنون إذا غابوا عن الأولاد فترة بسبب من الأسباب لما خافوا على أولادهم أن لا يؤدّبوا على ما يريدون ويشتهون، ومما يوضح ذلك ما ذكره الراغب الأصفهاني أن المنصور بعث إلى من في الحبس من بني أمية من يقول لهم: ما أشدّ ما مرّ بكم في هذا الحبس؟ فقالوا: "ما فقدنا من تربية أولادنا".